تفسير ابن كثير

هذه الاية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول ا صلى ا عليه وسلّم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى ا عليه وسلّم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه D صلوات ا وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب { لقد كان لكم في رسول ا أسوة حسنة } أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى ا عليه وسلّم ولهذا قال تعالى : { لمن كان يرجو ا واليوم الآخر وذكر ا كثيرا } .

ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود ا لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والاخرة فقال تعالى : { ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا ا ورسوله وصدق ا ورسوله } قال ابن عباس Bهما وقتادة : يعنون قوله تعالى في سورة البقرة : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر ا ألا إن نصر ا قريب } أي هذا ما وعدنا ا ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى : { وصدق ا ورسوله } وقوله تعالى : { وما زادهم إلا إيمانا وتسليما } دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري و الحمد والمنة ومعنى قوله جلت عظمته { وما زادهم } أي ذلك الحال والضيق والشدة { إلا إيمانا } با { وتسليما } أي انقيادا لاوامره وطاعة لرسوله صلى ا عليه وسلّم